

الداعي إلى إخفائها أن يحيي من يريد لها الليالي الكثيرة طلباً لموافقتها فتكثر عبادته ويتضاعف ثوابه، وأن لا يتكل الناس عند إظهارها على إصابة الفضل فيها فيفطروا في غيرها. ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الأمور وقضائها. من قوله تعالى: ﴿فِيهَا يَفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾⁽⁶⁾ وقيل: سميت بذلك لخطرها وشرورها على سائر الليالي.

وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٦﴾

﴿وما أدراك ما ليلة القدر﴾ يعني: ولم تبلغ درايتك غاية فضلها ومنتهاى علو قدرها.

لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٧﴾

ثم بيّن ذلك بأنّها خير من ألف شهر، وسبب ارتفاع فضلها إلى هذه الغاية ما يوجد فيها من المصالح الدينية التي نكرها من تنزل الملائكة والروح، وفصل كل أمر حكيم ونكر في تخصيص هذه المدة أن رسول الله ﷺ نكر رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر، فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت إليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي⁽⁷⁾. وقيل: إن الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله ألف شهر، فأعطوا ليلة إن أحيوها كانوا أحق بأن يسموا عابدين من أولئك العباد.

نَزَّلَ الْمَلَكُوتُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٨﴾

﴿تنزل﴾ إلى السماء الدنيا. وقيل: إلى الأرض، ﴿والروح﴾ جبريل. وقيل: خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة. ﴿من كل أمر﴾ أي: تنزل من أجل كل أمر قضاه الله لتلك السنة إلى قابل. وقرئ: من كل امرئ؛ أي: من أجل كل إنسان. قيل: لا يلقون مؤمناً ولا مؤمنة إلا سلموا عليه في تلك الليلة.

سَلَّمَ مِنْ حَتَّىٰ تَطَّلَعَ الْقَوَاعِي ﴿٩﴾

﴿سلام هي﴾ ما هي إلا سلامة. أي: لا يقدر الله فيها إلا السلامة والخير، ويقضي في غيرها بلاء وسلامة، أو ما هي إلا سلام لكثرة ما يسلمون على المؤمنين. وقرئ: مطلع بفتح اللام وكسرها. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة القدر أعطي من الأجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر»⁽⁸⁾.

لهم مجلس صهب السبال أئلة

وقال زهير:

وفيهم مقامات حسان وجوهم

والمقامة: المجلس. روي أن أبا جهل مرّ برسول الله ﷺ وهو يصلي فقال: ألم انهك. فأغلظ له رسول الله ﷺ فقال: أتهدئني وأنا أكثر أهل الوادي نائياً فنزلت⁽¹⁾. وقرأ ابن أبي عملة: سيدعى الزبانية على البناء للمفعول.

سَخَّ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٠﴾

والزبانية في كلام العرب: الشرط. الواحد: زبانية كعفوية من الزبن وهو النفع. وقيل: زبني وكأنه نسب إلى الزبن ثم غير للنسب كقولهم: إمسى وأصله زباني. فقيل: زبانية على التعويض، والمراد ملائكة العذاب. وعن النبي ﷺ: «لو دعا نايه لأخذته الزبانية عياناً»⁽²⁾.

كَلَّا لَا تُلْمَعُوهُ أَنَسِدٌ وَأَنزَبٌ ﴿١١﴾

﴿كلا﴾ ردع لابي جهل ﴿لا تطعه﴾ أي: اثبت على ما انت عليه من عصيانه. كقوله: ﴿فلا تطع المكذبين﴾⁽³⁾ ﴿واسجد﴾ دم على سجودك يريد الصلاة، ﴿واقترب﴾ وتقرّب إلى ربك. وفي الحديث أقرب ما يكون العبد إلى ربه إذا سجد⁽⁴⁾ عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة العلق أعطي من الأجر كأنما قرأ المفصل كله»⁽⁵⁾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة القدر مختلف فيها

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾

عظم القرآن من ثلاثة أوجه: أحدها أن أسند إنزاله إليه وجعله مختصاً به بون غيره، والثاني أنه جاء بضميره بون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه، والثالث الرفع من مقدار الوقت الذي أنزل فيه. روي أنه أنزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا وأملاه جبريل على السفرة، ثم كان ينزله على رسول الله ﷺ نجومًا في ثلاث وعشرين سنة. وعن الشعبي: المعنى: إنا ابتدأنا إنزاله في ليلة القدر. واختلفوا في وقتها فأكثروهم على أنها في شهر رمضان في العشر الأواخر في أوتارها، وأكثر القول أنها السابعة منها. ولعل

(1) أخرجه الترمذي في كتاب: التفسير، باب: ومن سورة ﴿اقرأ﴾ (الحديث رقم: 3349).

(2) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير ومن سورة: واقراء، باب: ﴿كلا﴾ لئن لم ينته (الحديث رقم: 4958).

(3) سورة القلم، الآية: 8.

(4) أخرجه مسلم في كتاب: الصلاة، باب: ما يقال في الركوع...=

= (الحديث رقم: 215 - 482).

(5) نكره الثعلبي في تفسيره وابن مردويه والواحدي، زيلعي 4/ 249 - (250).

(6) سورة النخا، الآية: 4.

(7) نكره الواحدي في أسباب النزول، ص 255.

(8) نكره الثعلبي وابن مردويه والواحدي، زيلعي 4/ 253 - 254.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة القيامة مكية

لَرَأَيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُتَحَيِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ
الْبَيْئَةُ ۖ (١)

كان الكفار من الفريقين أهل الكتاب وعبدة الأصنام يقولون قبل مبعث النبي ﷺ: لا ننفك مما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة والإنجيل وهو محمد ﷺ. فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه ثم قال: ﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب﴾ (١) يعني: أنهم كانوا يعنون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق إذا جاءهم الرسول، ثم ما فرقتهم عن الحق ولا أقرهم على الكفر إلا مجيء الرسول ﷺ. ونظيره في الكلام أن يقول الفقير الفاسق لمن يعظه: لست بمنفك مما أنا فيه حتى يرزقني الله الغنى، فيرزقه الله الغنى، فيزيد فسقاً، فيقول واعظه: لم تكن منفكاً عن الفسق حتى توسر، وما غمست رأسك في الفسق إلا بعد اليسار، ينكره ما كان يقوله توبيخاً والزأماً. وانفكك الشيء من الشيء أن يزياله بعد التحامه به كالعظم إذا انفك من مفصله، والمعنى: أنهم متشبثون بدينهم لا يتركونه إلا عند مجيء البينة. و﴿البينة﴾ الحجة الواضحة.

رَسُولًا يَنْزِلُ فِيهَا مِنْ أَسْمَاءٍ مُتَبَرِّجَاتٍ ۖ (٢)

﴿رسول﴾ بدل من البينة. وفي قراءة عبد الله رسولاً حالاً من البينة. ﴿صحفاً﴾ قراطيس، ﴿مطهرة﴾ من الباطل.

فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ۖ (٣) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ آيَاتُهُ ۖ (٤)

﴿فيها كتب﴾ مكتوبات ﴿قيمة﴾ مستقيمة ناطقة بالحق والعدل. والمراد بتفرقتهم تفرقتهم عن الحق وانقشاعهم عنه، أو تفرقتهم فرقاً فمنهم من آمن ومنهم من انكر. وقال: ليس به ومنهم من عرف وعاند.

فَإِنْ قُلْتُمْ: لِمَ جُمِعَ بَيْنَ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ أَوْلَىٰ؟ ثُمَّ أَقْرَبَ أَهْلَ الْكِتَابِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ؟﴾ قُلْتُمْ: لَأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَىٰ عِلْمٍ بِهِ لَوْجُودِهِ فِي كِتَابِهِمْ فِإِذَا وَصَفُوا بِالتَّفَرُّقِ عَنْهُ كَانَ مِنْ لَا كِتَابٍ لَهُ انْخَلَّ فِي هَذَا الوصف.

وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ النُّبِيِّ ۖ (٥)

﴿وما أمروا﴾ يعني: في التوراة والإنجيل إلا بالدين الحنيفي ولكنهم حرقتوا وبيدوا ﴿وذلك دين القيمة﴾ أي: دين الملة القيمة. وقرئ: وذلك الدين القيمة على تأويل الدين بالملة.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي تَارِ حِمَّةٍ خَلِيلِينَ
فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۖ (٦)

فإن قلت: ما وجه قوله: وما أمروا إلا ليعبدوا الله؟ قلت: معناه. وما أمروا بما في الكتابين إلا لأجل أن يعبدوا الله على هذه الصفة.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۖ (٧)

وقرأ ابن مسعود: إلا أن يعبدوا. بمعنى بأن يعبدوا. قرأ نافع البرية بالهمز والقراء على التخفيف. والنبي والبرية مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفض الأصل. وقرئ: خيار البرية جمع خير كجيد وطيب في جمع جيد وطيب. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مساءً ومقيلاً» (٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الزلزلة مختلف فيها

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۖ (١)

﴿زلزالها﴾ قرئ: بكسر الزاي وفتحها، فالمكسور مصدر، والمفتوح اسم. وليس في الأبنية فعلاً بالفتح إلا في المضاعف.

فإن قلت: ما معنى زلزالها بالإضافة؟ قلت: معناه زلزالها الذي تستوجب في الحكمة ومشية الله وهو الزلزال الشديد الذي ليس بعده. ونحوه قولك: أكرم التقى إكرامه، وأهن الفاسق إهانته. تريد ما يستوجبانه من الإكرام والإهانة. أو زلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه.

وَأَنْزَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۖ (٢)

الانقال: جمع ثقل وهو متاع البيت، وتحمل أثقالكم جعل ما في جوفها من البقائن أثقالاً لها.

وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَنَا ۖ (٣)

﴿وقال الإنسان ما لها﴾ زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما في بطنها، وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ أمواتها أحياء فيقولون نلك لما يبهتهم من الأمر الفظيع. كما يقولون: من بعثنا من مردقنا؟ وقيل: هذا قول الكافر لأنه كان لا يؤمن بالبعث، فأما المؤمن فيقول: ﴿هذا